

السُّيُوفُ القلعيّة

د. عبد الكريم اليافي

مقدمة :

يروى عن عبد الله بن عباس أنه قال : « اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فاطلبوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب » (١) ويقول أبو فراس الحمداني :

الشعر ديوان العرب أبداً وعنوان الأدب

ويذهب الحريري صاحب المقامات المشهورة على لسان أبي زيد السروجي هذا المذهب في المقامة الشعرية ، وهو أن الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب . كون الشعر عنوان الأدب معناه عندنا أن الشعر بصيغته الكاملة ، وأدائه المتقن ، يعلم المرء حب الاتقان ويدربه على ابتغاء الكمال فيما يعمل وعما يصدر . وقول الحريري انه ترجمان الأدب معناه أنه يشف عما يحمل الأدب في ثناياه من أغراض متعددة حسبما يفيد لفظ الأدب قديماً من الاشتمال على المعارف المختلفة . أما الديوان فهو السجل الواسع الذي يضم بصحائفه كل ذلك ويقيده .

وهذا يدل على مكانة الشعر القديم في رحاب التراث العربي الاسلامي . وحقاً نجد الشعر العربي في تلوده الأصيل وقدامته الموهلة في

أعماق التاريخ يصور حياة العرب ويحمل في تضاعيفه أخبارهم ونصيباً
ضخماً من مذاهبهم ويتضمن نبضات قلوبهم وثمرات قرائحهم ويمسك بصور
أخيلتهم ويلمع بشأ ومقاصدهم ويحتوي على كنوز عواطفهم وألوان تجاربهم
ورهاقة اشاراتهم ومكارم أخلاقهم ومختلف عاداتهم ومتباين نزعاتهم ،
كما يستوعب ما استطاع من مفاتيح^(٢) لغتهم ومتمايز لهجاتهم . هذا الى جوانب
الأمر الفنية ايجازاً واسهاباً ، حقيقة ومجازاً ، تلميحاً وتصريحاً ، الى غير ذلك
من ضروب البيان وأفانين التعبير .

ولهذا كلما وقع بين يدي ديوان شعر جمعه محقق فاضل لأحد الشعراء
القدماء أسرع الى مطالعته وتأمل بيانه وأخف الى تفهم معانيه والطواف بأبياته
ومبانيه . وآخر ديوان طالعته شعر منصور النمري جمعه وحققه وخرّجه
وقدّم له السيد الطيب العشاش وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق .

وحسب المرء أن يطالع الكتاب ليدرك ما عاناها جامعه في مختلف المظان من
عنت ويقدر الفكر العلمي الذي سار على هداها حين دبّج المقدمة ورتب الأشعار
ودل بالتخريج على مواطنها من الأسفار وأورد اختلاف رواياتها ، كما أورد في
تعليقاته المناسبات التي قيلت فيها .

كذلك ذكر نسب الشاعر وولادته وقسطاً من أخباره وعلاقته ببعض
شعراء عصره وبذوي السلطان ثم بالخليفة وأشار الى مذهبه السياسي^(٣) .
وفي قراءتي للديوان تمهلت عند القطعة الشعرية التي وصف فيها الشاعر
سيفاً قلعيّاً جاء في مطلعها :

يكفيك من قلع السماء مهند	فوق الذراع ودون بوع البائع
صافي الحديد قد أضر بجسمه	طول الدياس وبطن طير جائع
أمر الماطر والرياح بحمله	فعملنه لمضايير ومنافع

وقد خرج المحقق أبيات القطعة متفرقة من وحشيات أبي تمام ومن كتاب
الحيوان للجاحظ ومن كتاب الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني ومن كتاب
الأشباه للخالدين . وبقية أبيات القطعة التي أغفلناها هنا كلها جميلة وممتعة
ولكنها ليست موضوع بحثنا .

أورد الجاحظ وهو ما هو في سعة العلم وافتنان المعرفة في الجزء الخامس ص ٨٨ من كتاب الحيوان^(٤) البيت الأول دون أن يسمي قائله وذلك في سياق كلامه على الصواعق فقال : « وزعم كثير من الناس أن بعض السيوف من نيران الصواعق وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء . قال أبو الهول الحميري (وهو معاصر لمنصور النمري في مديحه للخليفة العباسي موسى الهادي^(٥)) :

حاز صمصامة الزبيدي من بي من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أطبقت عليه الجفون
أوقلت فوقه الصواعق نارا ثم ساطت به الزعاف المنون

ثم يورد أبو عثمان بيت النمري دون أن يسميه كما ذكرنا ولكن على الشكل :

يكفيك من قلع السماء عقيقة فوق الذراع ودون بوع البائع

أي طول السيف فوق الذراع ودون الباع

ويعقب شارحاً لفظ العقيقة : « قال الأصمعي ، الانعقاد تشقق البرق ومنه وصف السيوف بالعقيقة وأنشد (قول عنتره) :

وسيفي كالعقيقة وهو كمعي^(٦)

وقال الأخطل :

وأرقني من بعد ما نمت نومة وعضب اباطي كالعقيق يمان^(٧) »

هذا الموضوع وهو أن بعض السيوف آتية من السحاب أو من نيران الصواعق ذو علاقة بالأنثروبولوجية الحديثة . ونحن نريد جلاء هذه العلاقة لبيان اتساع دلالات الشعر العربي القديم وكثرة فوائده وأنه مناجم غنية بعناصر البحث من كل ضرب .

● معنى السيوف القلعية :

ولما كان بيت النمري قد ذكره البيروني في كتابه « الجماهر » الصغير حجماً الكبير فائدة فلا بد من أن نعرض أول الأمر كلام أبي الريحان لمكانة هذه العلاقة

ونبين فهمه للبيت وشرحه للفظي القلع والقلعي ولو تطاول العرض لأن فيه زيادة ايضاح ولا سيما أن هذا البحث ذو صلة أيضاً بكيمياء الحديد وبالتعدين . هذا وربما تساءل المترجمون عن الألفاظ العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية الحديثة في هذا المجال من كيمياء هذا الفلز . فلعل في هذا الشرح افادة .

يقول البيروني : « والحديد معدنه ينقسم الى قسمين أحدهما لين يسمى النرماهن ويلقب بالأنوثة ، والآخر صلب يسمى الشابرقان ويلقب بالذكورة لصرامته وهو يقبل السقي مع تأبّيه لقليل انثناء ... »

ومن الشابرقان سيوف الروم والروس والصقالبة . وربما قيل له قلع بنصب اللام وبجزمها فيقال : تسمع للقلع طينياً ولغيره بحا . ونسب اليه نوع من السيوف فسميت قلعية .

وظننا قوم منسوبة الى موضع كالهندية واليمانية والمشرقية^(٨) فقالوا انها تحمل من « كله »^(٩) كما يحمل منها الرصاص . وينسب اليها القلعي . وهي سيوف عراض ولا تبعد أن تشبه لبياضها في أشعار العرب على اضطرابها فيه^(١٠) قال (عامر المحاربي) :

نراوح بالصخر الأصم رؤوسهم اذا القلع الرومي منها تثلما^(١١)

فقد أشار الى الشابرقان اذ ليس للروم سيوف غيرها .

قال العجاج :

قد أحدثت رومية القيون أبيض من ماء الحديد الجون^(١٢)

وقال :

اني اذا الموت كسع أضربهم بلني القلع^(١٣)

أي الحديد المتخذ منه السيوف القلعية ، وأخرجه مُخرج صفة السيوف كذي الفقار وذي الشطب . وقال ابن الرومي .

يكشف الدهر منه في تصرفه عن منصل قلعي من مناصله .

ويعرض البيروني المستبحر في اللغة العربية استبحاره في علوم آخر شتى معاني القلع . فقد ورد في الشعر القلع بمعنى العلق قلبه الشاعر للقافية والقلع الشراع والقلع السفن والقلع رؤوس الجبال ثم يقول : والقلع السحاب . والسحاب يشبه بالجبال والحديد يستنبط منها وباشتراك الاسم نقل الحديد الى السماء . وقال الهذلي :

يكفيك من قلع السماء مهند ... البيتـين

ويعلق أبو الريحان قائلًا : «والبيت الأول لا يمتنع به خلق الحديد ومعنى الانزال المذكور مصرحاً فيه بالسماء . ولم يرد بالمهند نسبته الى الهند . لكنه جعل ذلك اسماً للسيوف صفة لازمة له . ثم في البيت الثاني أفصح بما قالوا ان نار الصاعقة تخرق الأرض وتسوخ فيها فيحفر في أثرها فيها ويخرج منها حديدة تتخذ منها السيوف القلعية . ومعنى بطن طير أن تلك الحديدة تقطع وتحمل حتى تصير كالجمرة وتلقى للنعمانة ليذهب عنها الخبث في بطنها وتذرقها صافية صالحة يطبع منها السيوف حينئذ ثم تداس بالمداس وتجلس بالصقل ... »

ويذكر البيروني ما ورد في بعض الكتب من «أن الصواعق اذا حدثت ارتفع ما تخلص منها . وما احترق من الجو من الأجزاء القطومة وقع الى الأرض » . وينتبه الى أنها نوع من النار (هي في اصطلاحنا الحديث كهرباء منفردة من السحاب الى الأرض) فيقول : «وقد قيل في الصاعقة انها ألطف من الهواء ومن الذي عندنا من ضرام النار بدليل غوصها فيما تخلخل من غير اضرار بها واذابتها ما استحصف مما يقبل الذوب »

مؤلف الجماهر عالم متمرس بالتجارب والأمور المحسوسة المشاهدة . وكأنه يصعب عليه تصور سقوط الحديد من السماء فيرى أن الحديد الساقط على الأرض انما تحمله الرياح الشديدة التي تكون في الصواعق من مكان على ظهر الأرض أو في بطنها الى مكان آخر فيقول : « فليس الا الريح مع الرعود والبروق والصواعق وهي سببها تحمل الفلزات من مواضع أخر اما من ظهر الأرض واما مرمية بالمردغات^(١٤) من بطنها . يشهد له الحديد الواقع منذ سنين بالجوزجان اذ

كان أنجرأ بحرياً على ما شاهد أحدالمحصلين فيه من مشابهه بعد تغير شكله
بما غشيه من الاحماء في قوة الرمي . ولم يكن جوهره بجيد اذ ليس يختار
الأناجر من أجود الحديد فان الغرض فيه الثقل فقط . وكذلك الذي أمطرت
قرية طاعون من قرى بوشنج في يوم سماءه مصحبة من الفلزات المشابهة
للصنفر الرديء مجردة كخبث الحديدحامية كان الماء ينش منها اذا وقعت فيه
وهي من من الى مناوين «(١٥) .

★ ★ ★

نعلق أول الأمر بلزوم التفريق بين صلة السيوف بالصواعق وصلة بعض
السيوف بالحديد النازل من السماء .

ان السيوف والأسنة المحددة تلمع عند جلائها فهي تشبه البرق في لمعانه
خلال الصواعق . لذلك شبهت بها . وكذلك لما كانت الصواعق ذات روعة
ورهة وقد تدمر ما تصيبه قوت رهبتهاوروعتها وشائجها بالأسنة والسيوف .
فلا غرو اذا غبر الكتاب والشعراء القدماء ينوهون بتلك الوشائج ايحاء بالوجل .
لذلك لما كانت السيوف والأسنة تلمع وكانت الكواكب والشهب الثاقبة
ذات بريق وسنا أخذ جرى تشبيه بعضها ببعض . الى جانب الأبيات الآتية نتذكر
بيت بشار الرائع :

كان مثار النفع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وبيت أبي تمام المزخرف الذي يقابل بين شهب الأسنة والشهب الكواكب
السبعة :

والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وقول بن هانيء يمدح المعز ويصف سيفه :

واذا استضاء شهابه بطل رأي صور الوقائع فوقه تخيلا

واذا تدبره تدبر علة للنيرات ونيراً معلولا(١٦)

البيت الثاني هذا غريب يشمل لفظين فلسفيين وهما العلة والمعلول .
يريد أن يقول : ان نوره انتقل الى النجوم فكان سبب انارتها وأن نورالنجوم

انتقل اليه منها • ومعنى ذلك ببساطة أن بريقه يذكر ببريقها وان بريقها يذكر ببريقه • ولكن بيان الفكرة فلسفي (هل نقول بين الطرفين فِعْل جدلي ؟!)

ثم ان البيت الذي نحن بصدده : « يكفيك من قلع السماء مهند ••• »
ينقلنا الى أمر آخر وهو أن بعض الشهب الثاقبة التي تقع على الأرض صنع من حديدها ذلك السيف • ونريد أن ننبه على أمر وهو أن الشهب دائمة السقوط على الأرض وليس صحيحاً تخصيص سقوطها بزمان الصواعق • ولكن التخصيص جاء من الوجمل الذي أشرنا اليه •

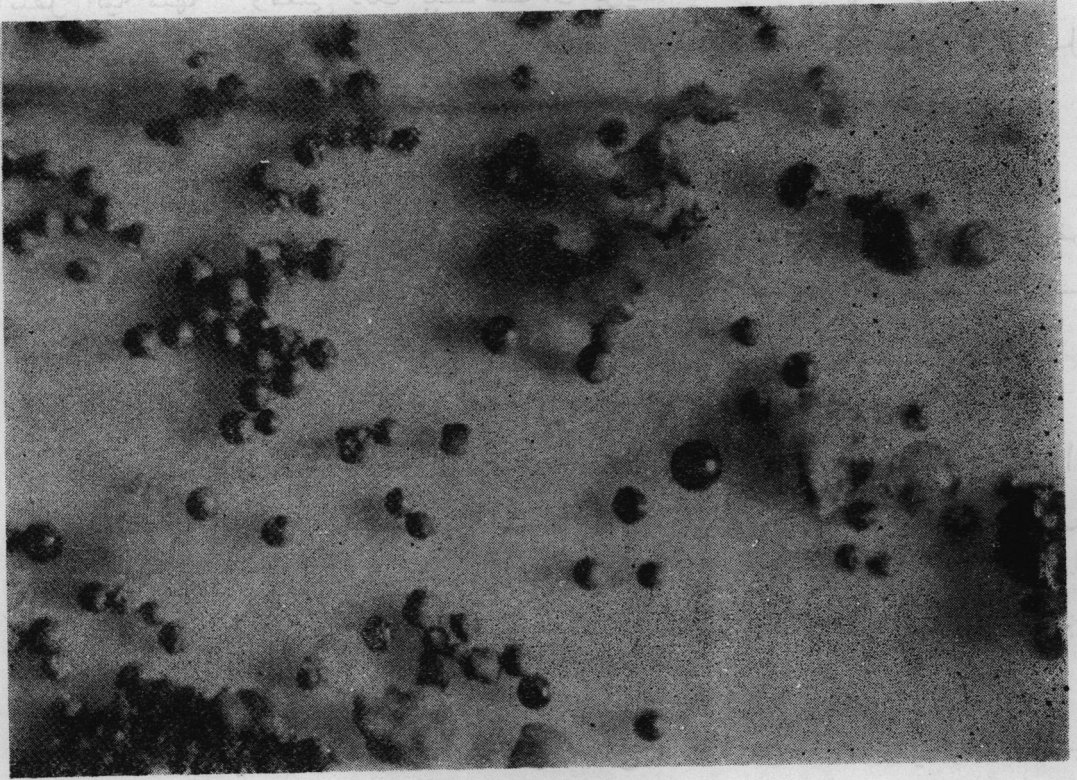
وعندنا أن النمري قد أفاد مما توارثه القدماء في شأن الحديد وحصيلته أن بعض السيوف البتارة انما صنعت من حديد النيازك الواقعة فوق أديم الأرض. ولما كانت هابطة من السماء حملت معها بعض الأسرار الخفية من القوة والمضاء كما يوحي بذلك الشعر الذي ينوء بصمصامة الزبيدي ويبرم الصلة بين الصواعق والسيوف •

وهكذا يفضي بنا شعر النمري الى ايضاح مقالات الشعراء في ذلك والى قضية صنع السيوف والسكاكين من حديد النيازك والشهب في العهود القديمة والى بيان شأن الحديد الذي في الشهب والنيازك ثم الى التنويه بقيمة الحديد عامة •

● الحديد والأنثروبولوجية الحديثة :

كتب العالم الأنثروبولوجي ومؤرخ الديانات مرسيا الياد كتاباً صغيراً جيداً عنوانه « الحدادون والكيماويون القدماء »^(١٧) فيه معلومات زاخرة في هذا الميدان ننقل بعضها مما يناسب الموضوع ونتجاوزه حين يتعلق البحث بالألفاظ العربية المتصلة به •

لقد استعمل الأقوام البدائية الحديد الساقط من السماء حجارة ونيازك وشهباً قبل أن يستعملوا الحديد الذي على سطح الأرض والذي هو محتاج الى التعدين والمعالجة • ان مرسيا الياد لا يذكر سبب الأسبقية • ولكننا نعلم الآن أن حديد النيازك قد يعثر عليه وهو بصفة معدنية خالصة • ويعتبر بسبب خلوصه



■ صورة لغبار « الآثار العلوية » ■

أنه قد مر في سقوطه بجو مرجع حسب التعبير الكيماوي أي سلب منه عنصر الأكسجين الذي كثيراً ما يكون متحداً به • والجو المرجع معناه أن يكون مشبعاً بغاز الهيدروجين أو النشادر أو أمثالهما على حين أن حديد الأرض يصادف في مركبات متعددة ولا سيما المركبات المؤكسدة كحجارة الحديد الدموية وحجارة الحديد المغناطيسي ، على أن بعض الحجارة السماوية تشمل أيضاً حديداً مركباً كما سنرى في تعرضنا لطبيعة النيازك في « الآثار العلوية » على حد تعبير العرب واليونان •

كان الانسان القديم يستعمل المعادن وفلزاتها على أنها ضرب من الحجارة ويعتمدها أدوات له في معاشه قبل أن يتعلم صهرها واذا بتها •

ووجد العلماء أن قبائل الاسكيمو في غرنلند كانوا يصنعون المدي والسكاكين

من الحديد السماوي بتطريقه بمطارق من حجر الصوان الصلد أو مما يسمى
باللغة العربية الظِرَّة^(١٨) والظُرَر أو الظُررة .

كذلك يروى أن القائد الاسباني هرنندو كُرْتيز الذي احتل المكسيك
كان اذا سأل قبائل الأزتيك من أين يأتون بمداهم وخناجرهم أروه السماء .
كانت تلك القبائل تستعمل الحديد النيزكي . مثلهم في ذلك مثل قبائل المايا
في يوكتان وقبائل الانكا في البيرو . كانوا جميعاً يؤثرون هذا الحديد على
الذهب . وكانوا جميعاً يجهلون صهر المعادن . وكذلك كان الانسان في عصور
ما قبل التاريخ . فلم يعثر علماء الآثار على أثر للحديد الأرضي في مواطن
الانسان القديم لتلك العصور .

وكانت شعوب الشرق القديمة يستعملون أول الأمر حديد الآثار
العلوية . يذكر الياد أن اللفظ السومري أنبار هو أقدم لفظ يدل على الحديد
ويتألف من مقطعين هما السماء والنار . ترجم العلماء هذا اللفظ بالمعدن السماوي
وبالمعدن النجمي . وترجمه كامبل تومسون بالبرق السماوي . وهو غير اللفظ العربي
الذي له عدة معان كما يدل على بلد قديم بالعراق . وقد غبّر المصريون
القدماء حقبة طويلة لم يعرفوا فيها الحديد الآثار العلوية ولم يظهر استعمال
الحديد الأرضي قبل الأسرة المصرية المالكة الثامنة . واستعمل
الحثيون الحديد الأسود من الحجارة السماوية . يذكر المؤرخون أن هذا
الحديد عرف في جزيرة قريطس في عهدها المتقدم على الميلاد بعشرين قرناً . ثم
ان اللفظ اليوناني سيديروس Sideros معناه الحديد واشتق منه سيديوروجي أي
جملة صناعة الحديد . وقرب علماء اللغة بينه وبين مشتقاته في لغات أخرى .
قربوه من اللفظ اللاتيني Sidus, Sideris ومعناه النجم وجمعه في اللاتينية
Sidera أي السماء كما قربوه من اللفظ اللتواني سفيدو Svidu
بمعنى لمع .

ان استعمال حديد الآثار العلوية كان ضئيلاً ونادراً جداً . ولذلك كان
أهم عند الانسان القديم من الذهب كما قلنا آنفاً . وكان استعماله متلبساً
بالقداسة . ولم يكن ذلك الاستعمال كافياً لكي يهيء ما يدعى بالمصر
الحديدي الذي هو المرحلة الثالثة من مراحل تقدم الحضارة في عصور ما قبل

التاريخ • فالمرحلة الأولى العصر الحجري والمرحلة الثانية العصر الصفري أو البرونزي • وقد اتخذ الانسان حديد السماء أداة صالحة له حين عشر عليه في غضون ذينك العصرين الأول والثاني دون أن يكون ذلك شائعاً شيوعاً يجعله مختصاً بأحدهما •

كان ينبغي للانسان أن يعثر على طريقة صهر الفلزات لكي تلوح غرة عصر جديد هو عصر المعادن والحديد • ولما استطاع الانسان معالجة الحديد الذي في الأرض وتعدينه انتشر التعدين اذغدا الانسان يجد مقادير كثيرة من حجارة الحديد وفلزاته كحجارة الحديد الدموية (نسبة الى اللون) والحديد المغناطيسي وقد سبقت الإشارة اليها فيصهرها بالأفران ويوصل درجة حرارتها الى الاحمرار الأبيض من أجل تقسية الحديد لكي يرأس تعدينه تعدين بقية المعادن المعروفة اذ ذاك كالنحاس والصفري (هو خليطة أو أشابة تتألف من النحاس والقصدير) ويقدر الباحثون بداءة ذلك العهد حوالي ١٢٠٠ - ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، مع أن الحديد السماوي والحديد المصادف على طبقات الأرض السطحية قد عرفا منذ الألف الثالث قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين (في تل أسمر وتل شفر بازار وماري) وفي الأناضول (ألاكهيوك) • واستمرت معالجة الحديد على غرار معالجة الصفري حقبة كما استمرت معالجة الصفري قبل ذلك حقبة على غرار معالجة الأحجار •

بقي الحديد مدة طويلة في ذلك العصر يتخذ تمائم وتماثيل وأدوات زينة ذوات صفة قدسية • ثم لما ان جاء عصر المعادن والحديد لبث الحديد نفسه ذا قيمة معنوية قبل أن يستفحل أمره ويعلو شأنه في الصناعة والحرب وقبل أن تغيّر مواضع استعماله الواسعة المتعددة وجه المعمورة •

كذلك لما ازدادت مكانة الحديد باستغلال مناجمه في الأرض انتقلت قدسية الحديد السماوي الى الحديد الأرضي وتسربت بالتدرج الى المناجم والفلزات عامة بل انتقلت الى معالج الحديد نفسه وهو الحداد الذي يتنقل من مكان الى آخر يتحرى في تنقله هذا الفلز ويقوم بأداء طلبات شتى يكلفه اياها الناس ... وثمة علاقات متعددة وغريبة نشأت بين كور الحداد والحداد

نفسه والسحر وحرفة الحدادة المسيطرة على النار والجمعيات السرية . وكذلك العمل في المناجم والتعدين ذوا صلة بالأرض الأم وبمسألة التوليد .

وأياً كان الأمر فلا شك أن للحديد سماوياً وأرضياً شأناً يتسم بالتقديس لبأسه ولمنافعه الواسعة في الحياة ولانشائه حضارة جديدة هي حضارة الحديد . انه أداة طيعة في معالجة الأرض وشقها وأداة صالحة للتغلب على الخصوم والقضاء على الشر . وهو في الوقت نفسه يحمي من بأس الآخرين ويمنع بالدرع والخوذة آثار وقع السهام والسيوف . وقد قالت العرب : لا يفل الحديد الا الحديد ، ولا يفلح الحديد الا بالحديد ، وان الحديد بالحديد يفلح . ومن أعاجيب اللغة العربية وأسرارها الخفية أنها اشتقت الحديد والحد من أصل واحد .

جاء في «معجم مقاييس اللغة» لأحمد بن فارس : « الحاء والدا ل أصلان : الأول المنع والثاني طرف الشيء » . هكذا ورد في المعجم . وعندنا هما أصل واحد لأن الثاني يرجع الى الأول . وقد جاء في المعجم نفسه : « فالحد الحاجز بين الشيئين أي لكل منهما طرف يفصل عن الآخر ويمنع منه » . فاستعمل المؤلف في شرح الأصل الثاني معنى الأصل الأول الذي هو المنع . وجاء في المعجم أيضاً « ويقال للبواب حداد لمنعه الناس من الدخول » أي يمنع تجاوز طرف المكان . ويستشهد أحمد بن فارس في الحد والمنع بقول النابغة :

الا سليمان اذ قال المليك له قم في البرية فاحدها عن الفند

ثم يقول : « وسمي الحديد حديداً لامتناعه وصلابته وشدته ، والاستعداد استعمال الحديد . ويقال حدت المرأة على بعلها وأحدث وذلك اذا منعت نفسها الزينة والخضاب . والمحادة المخالفة فكأنه الممانعة ويجوز أن يكون من الأصل الآخر . » والأصل الآخر هو الطرف أي يكون المحاد في طرف آخر ممانعاً فيه . وهكذا نرى الأصلين أصلاً واحداً . ولكن المؤلف لزيادة تدقيقه جعله أصليين . ويعضد اتجاهنا قول الزبيدي في التاج : حد كل شيء منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التماذي . »

ملاحظة ثانية في شأن الحديد وهي أنه اذا كانت اللغات القديمة الأصيلة قد مازت حتى في الأشياء الهامدة التأنيث والتذكير واعتبرتهما فيها مجازيين فان اللغة العربية لأهمية الحديد واختلاف نوعية القاسي واللين منه فرقت بين الحديد المذكر والحديد المؤنث كما مرفي كلام البيروني الآنف . وفي قصيدة النمرى التي كانت نهزة لهذا الحديث يصف السيف بالذكر .

ذكر برونقه الدماء كأنما يعلو الرجال بأرجوان نافع

وفي التاج « والمذكر من السيف كمعظم ذو الماء وهو مجاز ويقال : سيف مذكر شفرته حديد ذكر ، ومثله أنيث . يقول الناس انه من عمل الجن » .

هذا وفي علم النفس الحديث عداضية الحديد أن الذكورة والأنوثة صنوان في المرء احدى الصفتين تغلب على الأخرى في مجال الطباع . وفي بحوث المفكر السويسري النفساني يونغ ما يشبه هذا التمييز . فهو يرى أن اللاشعور الجمعي لا جنس له فهو ليس بالذكر ولا بالأنثى . ولكن اللاشعور الفردي يتصف بصفات الجنس المقابل تعويضاً وتكملة . فالرجل يتصف لا شعوره بوصف مؤنث يدعو يونغ بالروح الأنثى anima والمرأة يتصف لا شعورها بوصف مذكر يدعو يونغ بالروح المذكر animus ^(١٩) (لفظ الروح في العربية مؤنث ومذكر) . فكأن الكمال في الشيء على رأي هذا المفكر يقتضي احتواء النقيضين واجتماعهما . وهناك بحوث في علم النفس تتجه هذا الاتجاه وتسلك مسالك مشابهة لا مجال للتعرض لها هنا .

وجاء في التاج أيضاً « والذكورة بالضم قطعة من الفولاذ تزداد في رأس الفأس وغيره » . والفأس هي التي تشق الأرض فكان قطعة الفولاذ المزينة أداة للانتاج واخصاب الأرض . وقد سبق أن السيف المذكر ذو الماء أي ذو اللآلء كأنه الماء وقالوا : سيف أنيث ومثلاث ومثناة ومؤنث أي كهام اذا كانت حديدته لينة .

وقد وصفوا الأمور الصعبة بالذكر . فالذكر من الأيام الشديد الصعب . والمذكر المخوف من الطرق ، والمذكر الشديد من الدواهي كالذكر . ويقال : فلاة مذكر ذات أهوال كما قالوا أرض أنيثة ومثلاث سهلة ، وبلد أنيث لين سهل .

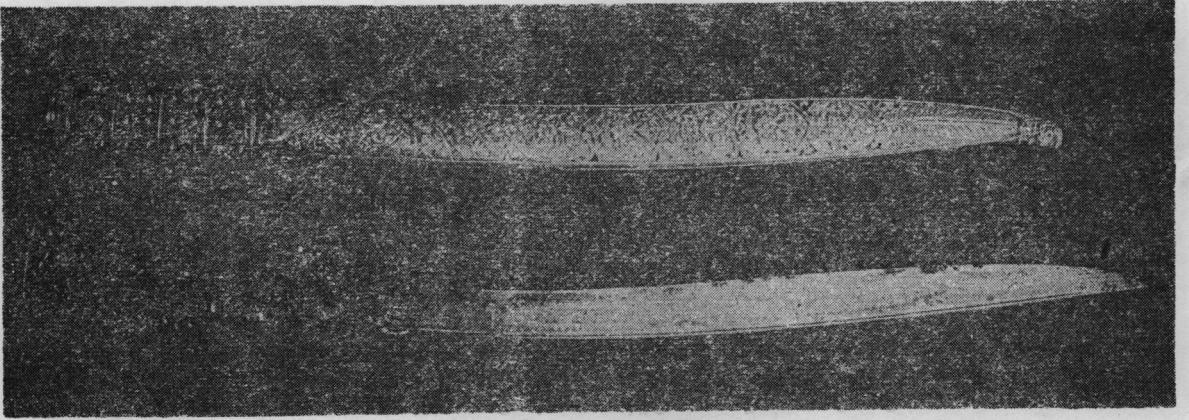
ملاحظة أخرى في الكلام على السيف المذكور قيل فيه انه من عمل الجن ، وهذه اشارة الى مهارة الصانع الذي صنعه . وقد وجد علماء الأنثروبولوجية لدى بعض القبائل شهرة الحداد بالقوة والسحر واحتفاظه ببعض الأسرار . حتى ان حرفة الحداد بلغت قديماً لدى بعض الأقوام حد الأسطورة . فالحداد القديم الأول رسول الآلهة مكلف بتكملة الخلق وتعليم الناس أسرار الحرف المختلفة لدى قبيلة اليو أو النعجة . وكذلك عند قبائل تشامبا والداكا والدُرُو وأمثالهم للحداد رسالة حضارية بالغة . ان الحداد الأول قد علمهم سر النار وانضاج الطعام بها وفن بناء البيوت وايلاد المولود وختانه ودفن الموتى وغير ذلك . وله في هذه الشؤون صفة دينية . بل ان بعضهم يرى أن الحداد الأول كان قبلاً يعيش في السماء ثم نزل الى الأرض .

ونجد أحياناً في القديم أن الحداد ذو صلة بالموسيقى والغناء والزينة والاحكام . وأصل اللفظ الكنماني القديم القاف والياء والنون يشير الى ذلك فقد ورد في لسان العرب : « القين الحداد وقيل كل صانع قين والجمع أقيان وقيون وقان يقين قيانة وقيناً صارقيناً . وقان الحديد قيناً عملها وسواها . وقان الاناء يقينه قيناً أصلحه . وأنشد الكلابي أبو الغمر لرجل من أهل الحجاز .

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا	ظباء بنى الحصاحص نجل عيونها
ولي كبد مجروحة قد بدت بها	صدوع الهوى لو أن قيناً يقينها
وكيف يقين القين صدعاً فتشتفي	به كبد أبت (١٦) الجروح أنينها

ويقال قن اناءك هذا عند القين وقتت الشيء أقينه قيناً لمته . »

وجاء فيه « والتقين التزين بألوان الزينة . وتقين الرجل واقتان تزيّن . وقانت المرأة المرأة تقينها قيناً وقينتها تزيّنتها . وتقين النبات واقتان اقتيناً حسن ومنه قيل للمرأة مقينة أي أنها تزيّن . قال الجوهري : سميت بذلك لأنها تزين النساء . شبهت بالأمة لأنها تصلح البيت وتزينه ، وتقينت هي تزيّنت والقينة الأمة المغنية تكون من التزين لأنها كانت تزيّن . وربما قالوا للمتزين باللباس من الرجال قينة . »



■ سيف وقرايه في متحف استانبول وهما ذوا ضلَع* مزدوج محليان بالذهب والفضة والمرجان ■

هذا وقد ورد في اللغة القون القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الاناء .
وهو يدل على اتصال أصول هذه الألفاظ بعضها ببعض .

أما صناعة السيوف القلعية فتصفها « رسالة الكندي في عمل السيوف » ،
وذلك أن « يؤخذ من برادة الحديد مناومن القلعي منا فيدافان معاً ثم يؤخذ
منه درهمان واحمله على ثلاثة أرطال نرماهن ورطلين ونصف شارقان ، ثم
صيّره في بوتقة مع عشرة دراهم مغنيسيا ويذاب ويخرج من البوتقة .
فاعمل منه سيفاً فيجيء حسناً » (١٧) .

دهدرين سعد القين أي جمعت باطلا الى باطل يا سعد الحداد

ثم ان بعض الظواهر الطبيعية دوجانين متقابلين ودلالاتين متضادتين
كالنار مثلاً فهي مطهرة وهي مخربة ، وهي منضجة وهي محرقة ، وهي ذات
نفع كبير اذا أحسنت الافادة منها ، وهي ذات ضرر بالغ ومدمر ان شبت ولم
يسيطر عليها . ومن أهم الذين عالجوا النار ومارسوا أمورها وعرفوا بتأثيراتها
والسيطرة عليها القين أو الحداد بالكور . فلا غرو اذا نشأ الى جانب تعظيم الحداد
وتعزيه لدى بعض القبائل تعزيه (ضد) وذمه وخفضه لدى بعض القبائل
الأخرى . ومن الذم والتثريب ما ورد في اللغة العربية من نسبة الكذب الى القين .
وذلك أن الحداد كان قديماً ينتقل بين القبائل ليعمل مايُكلف . جاء من أمثالهم

★ الضلَع بفتحين في السيوف الاعوجاج . ويعتبر هذا السيف من نوع ياتاغان .

في لسان العرب : « اذا سمعت بسرّ القين فانه مصبح وهو سعد القين . قال أبو عبيد : يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه . قال الأصمعي : وأصله أن القين بالبادية ينتقل في مياهم فيقيم بالموضع أياماً فيكسد عليه عمله فيقول لأهل الماء : اني راحل عنكم الليلة وان لم يُرد ذلك ، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله . فكثّر ذلك من قوله حتى صار لا يصدق . وقال أوس :

بكرت أمية غدوة برهين خانتك ، انّ القين غير أمين

قال الجوهري : هو مثل في الكذب . يقال دُهْ دُهْ دُرّين سعدُ القين » .

ده درين يُروى منفصلاً ويروى متصلاً دَهِدَين . الدهدر الباطل ومنه قولهم دُهِدَين و دُهِدَيه للرجل الكذوب كما جاء في اللسان وفي التاج ، أو دَهِدَين اسم فعل بمعنى بطل وسعد فاعل له والقين صفة وعندئذ يصح التنوين في سعد وقد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين وتضم الدال في سعد . « ورواه أبو عبيدة معمر بن المثنى دَهِدَين سعد القين بنصب سعد وذكر أن دَهِدَين منصوب على اضممار فعل ، وظاهر كلامه يقتضي أن دَهِدَين اسم للباطل تثنية دَهِدَ و لم يجعله اسماً للفعل كما جعله أبو علي (الفارسي) فكأنه قال اطرحوا الباطل وسعد القين فليس قوله (قول سعد الحداد) بصحيح أو أن قيناً ادعى أن اسمه سعد زماناً ثم تبين كذبه ف قيل له ذلك أي جمعت باطلاً الى باطل يا سعد الحداد فيكون سعد القين منادى مفرداً والقين نعتة » كما جاء في التاج . أما رواية الجوهري وغيره المثل منفصلاً ففسروا بأن ده فعل أمر من الدهاء الا انه قدّم واوه التي هي لامه الى موضع عينه فصار دُوه ثم حذفت الواو للساكنين فصار دُوه كما فعلت في قل ودَين من درّ يدرّ اذا تتابع ويراد هنا بالتثنية التكرار كما قالوا لبيك وحنانيك ودواليك ، ويكون سعد القين منادى مفرداً والقين نعتة فيكون المعنى أي بالغ في الدهاء والكذب يا سعد القين . « كما جاء في التاج أيضاً .

ويرد على ذلك أنه كان يجب أن يفتح الدال من دَين ويجوز أن يقال انها ضمت اتباعاً لضمة الدال من ده .

وقد تكلم في هذا المثل كثير من اللغويين . وكلهم مجمعون على باطل سعد الحداد وكذبه . وورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري برقم ٧٨٥ وفي مجمع الأمثال للميداني برقم ١٤٠٠ كما ورد في المستقصى للزمخشري برقم ٣٠١ ج ٢ .

وجاء في المستقصى « دهرين سعدالقين . الدهدر والدهدن الباطل وأصله أن القين يضرب به المثل في الكذب . ثم ان قيناً ادعى أن اسمه سعد فدعي به زماناً ثم تبين كذب دعواه ف قيل له ذلك . أي جمعت باطلين يا سعد القين . دهرين منصوب بفعل مضمر وهو جمعت ، وسعد منادى مفرد معرفة ، والقين صفته ، وهو مرفوع أو منصوب . ومعنى تثنية الباطل أن القين مشهور بالكذب في السرى وقد انضم اليه الكذب في انتحال الاسم فاجتمع كذبان وهذا أصح ما يؤدي اليه النظر والاجتهاد في فسر هذا المثل يضرب لمن جاء بباطلين . » هذا ويرى بعض اللغويين أيضاً كما في اللسان « أن القين العبد والجمع قيان . وقول زهير :

رد القيان' جمال الحي فاحتملوا الى الظهيرة أمر بينهم لبك

أراد بالقيان الاماء أنهن رددن الجمال الى الحي لشد أقتابها عليها ، وقيل رد القيان جمال الحي العبيد والاماء . »

وهذا كله يبرز غنى اللغة العربية وثراءها الجمل الزاخر بمضامين المعاني التي تمس مختلف الميادين العلمية والفكرية حتى الأنثروبولوجية الحديثة .

● الشهب والنيازك عامة والنيازك الحديدية خاصة :

النيازك أجسام صلبة أي كتل من الصخور أو المعدن صغيرة وكبيرة تهوي من السماء على الأرض تناقل سقوطها الأقدمون . وقد ورد ذكر سقوط الحجارة من السماء في القرآن الكريم : « جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » (هود ٨٢-١١) ، « جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » (الحجر ١٥-٧٤) ، « قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين » (الذاريات ٥١-٣٢ ، ٣٣) ، « وأرسل عليهم طيراً أبابيل .

ترميهم بحجارة من سجيل» (الفيل ١٠٥-٣ ، ٤) وسجيل طين طبخ كما طبخ
الآجر حتى صار في صلابة الحجارة كما يقول المفسرون ومنضود متتابع . ولا شك
أنها عند وصولها الى الأرض كانت حامية محرقة بسبب احتكاكها بطبقات الجو .
والمراد في سورة هود والحجر والذاريات قوم لوط وفي الفيل جيش أبرهة . هذا
ومن جهة ثانية يرى العلماء أن الحجر الأسود هبط من السماء .

وقد حكى بعض المؤلفين في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية سقوط بعض
الأجسام من السماء وتلبثوا بعض التلبث عندها . وسبق ذكر كلام البيروني في هذا
الشأن . وروى أبو البركات في كتابه «المعتبر» أن قوماً « رأوا قطعة من نحاس
نزلت في الصاعقة كجاورس مجتمع بعضه الى بعض وزنها سبعون منا شبيهة بحجر
الشاذنج العدسي » والجاورس بالسين والشين حب كالدخن والشاذنج بالبدال
والذال هو حجر الدم أو أكسيد ونصف الحديد كما سيأتي .

وأول رصد لها حصل حين سقط حجر كبير قرب مدينة انسيشاييم
بالألزاس سنة ١٤٩٢ رآه الناس فحملوه الى كنيسة هناك وحفظوه . ولكن
العلماء الأوربيين كانوا يبعدون مجيئها من خارج الأرض . مثلهم في ذلك مثل
بعض المؤلفين العرب كالجاحظ والبيروني لاتجاههم الموضوعي الحسي اذ لم
يشاهدوا ذلك هم أنفسهم . ثم لما أن سقط وابل من الحجارة في مقاطعة الأورن
بفرنسة انتدب المجمع العلمي الفرنسي اذ ذاك لجنة لدراستها . ثم بقي الناس
لا يطلعون على حجارة من خارج الأرض غير التي تهبط في النيازك والشهب حتى
رحلة أبولو ١١ الحديثة .

وفوق المعمورة في الوقت الحاضر نحو أربعين طناً هي نيازك شوهت سقوطها
لحينه . ولكن الى جانبها مقادير أخرى جد كبيرة متفرقة يظن أنها منها ، ولا
تعلم الأحوال التي سقطت خلالها فوصلت الى الأرض .

ان تلك الأجسام الصلبة تبلغ الأرض دون أن تكون بخرت كلها بالحرارة في
طريقها اليها . والأثر الضوئي الساطع لمرور جسم بالفضاء الخارجي سببه

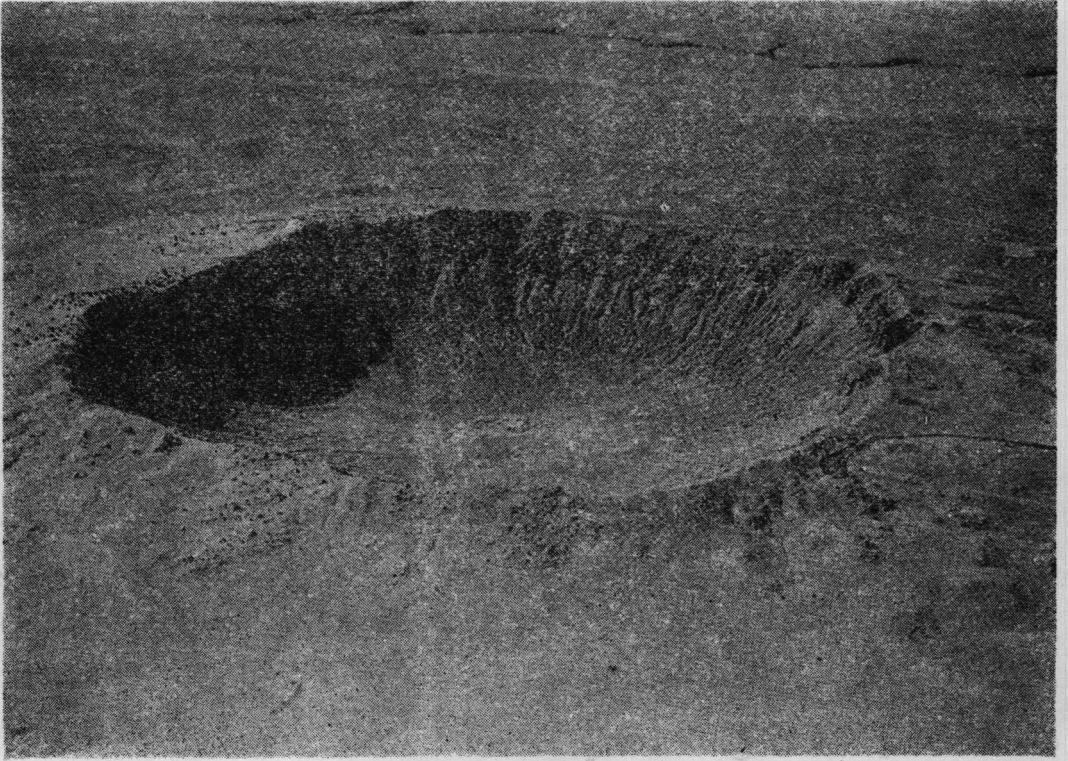
احتكاكه لدى هويته المتسارع نحو الأرض بطبقات الجو . وهو احتكاك يولد حرارة عالية تجعل الجسم الهابط متوهجاً عند بلوغه طبقات كثافتها تولد بالاحتكاك ذلك التوهج . وتقدر سرعة انقراض الشهاب الداخل في جاذبية الأرض بين ١٠ و ٧٢ كم في الثانية حسب دخول جو الأرض في اتجاه حركتها أو في عكسه . ويتعاضم التوهج بتعاضم الاحتكاك المرتبط بشدة السرعة وكبر الجرم .

وثمة اعتبارات متفاوتة في أصل النيازك . ظن العالم الفرنسي لبلاس أنها آتية من انفجارات بركانية على القمر . ولا يبعد عند فريق من الباحثين أن يكون بعضها من أصل قمري . ولكن القمر نفسه تتساقط فوقه الشهب . ولما لم يكن له غلاف جوي كغلاف الأرض الجوي كانت الشهب التي تتساقط عليه تحدث في سطحه هوات تبدو كأنها فوهات . وتسمح الأجهزة الدقيقة التي تركها رواد القمر في العصر الحاضر على سطحه بتسجيل الشهب التي تهطل عليه .

ويذهب الظن الى أن المذنبات الكثيرة التي تجري في المجموعة الشمسية قد يفتت بعضها . ثم ان الأرض في مدارها حول الشمس بسرعة ٣٠ كم في الثانية قد يصادف أن تمر قريباً من بقايا المذنبات فتدخل البقايا في جاذبية الأرض وتتهاوى شهباً ثابتة كأنها وابل في بعض الأحيان . وأكثر ما يحدث ذلك في شهري تموز وآب تظهر الشهب فيها كأنها آتية من برج فرساوس فندعوها فرساوسية ، أو في تشرين الثاني وتظهر كأنها آتية من برج الأسد فندعوها أسدية ثم لا تلبث أن تنحرف قليلاً كأنها تنحدر من برج المرأة المسلسلة فندعوها مسلسلة . وقد يسمى الفلكيون تلك المذنبات التي مرت على تلك الجهات بأسمائها .

بيد أن الاتجاه الحديث في الفلك يفرق بين الشهب الثابتة والنيازك . أما الشهب فهي فئات ذبول مذنبات كل شهاب منها صغير جداً يعادل حبة الرمل أو حبة الرز يراها الساهر في الليالي الصافية الداجية بمعدل عشرة شهب في الساعة . أما التي لا ترى بالعين فهي أكثر عدداً تسقط في النهار ولكنها لا ترى كما تسقط في الليل . وهي في بعض الليالي أكثر هطولاً . وقد أشرنا الى ذلك في شهر تشرين الثاني وشهري آب وتموز . وإذا اعتبرنا أن كل شهاب

كتلته وسطياً غرام واحد كان ما تتلقاه الأرض في اليوم الواحد يعادل أربعة وعشرين طناً عند حسابنا للشهب المرئية . أما إذا أضفنا الى ذلك الشهب الخفية فان ما تتلقاه الأرض يتجاوز ألف طن في اليوم الواحد . وهو مقدار ضخم . ولكن ضخامته تبدو ضئيلة اذا اعتبرنا سعة سطح الأرض ولا يكاد يكون شيئاً بالقياس الى كتلة قشرتها . أما النيازك فهي أكبر من تلك الشهب . والفرض في بيان أصلها أنها انفصلت قديماً عن سديم الشمس وتراكمت الأجزاء المنفصلة بعيدة عن مصدرها فدارت كويكبات بين مداري المريخ والمشتري متفاوتة المقادير . وقد يخرج بعضها عن مداره بجاذبية بعض السيارات فيندفع نادراً بهذا الخروج . وقد يعترض له مدار الأرض فيهوي بجاذبيتها عليها . وقد ذهب بعض الباحثين الى انها أجزاء لكوكب ضخم نسبياً تفتت وتشتتت أجزاؤه . ومن المعروف أن أكبر تلك الكويكبات سيريس قطره يقدر الآن بنحو ٧٠٠ كم . ومن الطريف أن نذكر هنا أن الفيلسوف الشهير هيغل قد كتب أطروحته سنة ١٨٠١ بعنوان *de orbitus planetarium* (أي في مدارات السيارات) نفى وجود جسم كوكبي بين المريخ والمشتري . كان شأن هيغل شأن بعض الفلاسفة الذين يتكلمون فيما يحسنون وفيما لا يحسنون . ذلك أنه في السنة نفسها كشف الفلكي الايطالي بياتسي *Piazzi* وجود ذلك الكويكب . ثم كشف الفلكيون سنة ١٨٠١ كويكباً آخر هو بلاس قطره حول ٤٨٠ كم وفي سنة ١٨٠٤ كويكباً ثالثاً هو يونو قطره ٢٢٠ كم وفي سنة ١٨٠٧ رابعاً هو فستا قطره ٣٨٠ كم . ويقدر اليوم ما يقرب من ثلاثين ألف كويكب في ذلك الحزام الدائر بين المشتري الضخم والمريخ تتفاوت حجوماً بين حجم سيريس وحجم ايكار الذي قطره لا يتجاوز ١٦ كم . وهي كلها تطوف في ذلك الحزام كأنها جبال متزاحمة ومعها مليارات من الكويكبات الضئيلة التي تحاكي كرات الحصى أو حبات الرمل أمكنت دراسة مدارات ما يناهز عدده ١٦٠٠ منها مع حركاتها . وقد تقترب تلك الكويكبات الضئيلة من مدار الأرض فتفوي عليها . ويقدر ما يناهز ١٥٠٠ شهاب كل منها بحجم الكرة الصغيرة يسقط على الأرض في غضون كل سنة . أما الكويكبات التي هي أكبر حجماً فسقوطها على الأرض نادر جداً قد يقع مرة كل عشرة آلاف سنة .



■ فوهة بارنغر في اريزونة ■

انتبه العلماء حديثاً لمساقط هذه الكويكبات على سطح الأرض مما حصل في أزمنة سحيقة • ولا شك أن الغلاف الجوي الأرضي ونباتات الأرض وجبالها وبحارها حمت سطح الأرض في الغالب من آثار ذلك السقوط • هذا ولا يمنع أن يكون بعض النيازك آتياً من مصادر أخرى •

بعض النيازك ضخمة تصل كتلته الى ما بين عشرة كغ الى عشرين قبل أن يرتطم بالأرض فينفجر شظايا وأشلاء متناثرة • وقد يتوقد في طريقه فلا يبقى منه الا رماد أو حبات دقيقة كالرمل تسفيها الرياح وتتبعثر فوق أديم الأرض مختلطة بأشباهاها الأرضية • وأكثر الشهب والنيازك التي تصل الى الأرض دقيق • على أن بعضها قد يبلغ من الضخامة ما يحفر هوة كبيرة في الأرض لا حبة تبقى فوهة فاعرة كالتي عثر عليها في ولاية أريزونة بأمريكة سنة ١٨٧١ قطرها حوالي ١٢٠٠ مترو عمقها ١٥٠ متراً درسها العالم بارنغر

Barringer عام ١٩٠٥ فزعم أن قدحفرها وقوع نيزك كتلته جسيمة جداً قبل حقبة سحيقة من الزمان تقرب من خمسة وعشرين ألف سنة . ولم يعثر على آثار النيزك ويظن أنه تطاير شظايا متناثرة عند ارتطامه بالأرض .

دراسة النيازك وأصنافها وأقسام كل صنف مستفيضة . وهي على العموم تصنف ثلاثة أصناف : ما يغلب عليها المعدن ولا سيما الحديد ، وما تغلب عليها الصفة الحجرية أو السيليسية ، وما تتعادل فيها الصفتان الحجرية والمعدنية . ولكل صنف أقسام متعددة بحسب التركيب الكيماوي . والذي يهمنا هنا هو النيازك المعدنية ولا سيما الحديدية لأنها الأصل في بحثنا . ولم يكن الاستطراد حول النيازك والشهب الا مدخلا للوصول اليها . كذلك لا نريد عرض تراكيبيها الكيماوية المختلفة . فلذلك مواضعه في كتب الفلك وفيما ينضوي في بحث الآثار العلوية التي منها الصواعق والشهب وأمثالها .

أكبر النيازك المعروفة التي تتألف من الحديد والنيكل وزنه خمسون طناً وجد سنة ١٩٢٠ في هوبا بالجنوب الغربي من افريقية وقد أبقى في مكانه . ولم يشاهد العلماء حتى سنة ١٩٦١ بين ٩٨ نيزكاً عثروا عليه غير تسعة وثلاثين نيزكاً من حديد . وقد وقع في منطقة جبال سيخوت ألين بسiberية سنة ١٩٤٧ نيزك معدني كتلته ثلاثة وعشرون طناً .

ووجد فوق شعاف الجبال من شظايا النيازك والشهب ما هو حديد فقط اذ اختلطت بقايا الشهب الحجرية بأشباها الأرضية .

ذكرنا أن معالجة الحديد معروفة منذ العصور قبل التاريخية . وقد اعتمد انسان العالم القديم (آسية وأوربة وافريقية) زُبَر حديد النيازك في صنع الأدوات . أما في العالم الجديد (أمريكة وأسترالية) فقد غُبرت في الغالب خارجه عن الاستعمال مدة طويلة .

وتعرف زُبَر الحديد تلك بأنها تحوي حديداً بحالته المعدنية . وكأنها كانت قبلا في وسط مرجع بأن يحتوي على غاز الهيدروجين H_2 أو النشادر NH_3 أو المتان CH_4 أو مرت بذلك الوسط وقد أشرنا الى ذلك آنفاً . ويظن أن

الجو القريب من المشتري فيه هذه الغازات • ذلك أن الحديد الأرضي في غالبيته متأكسد أو هو في داخل أملاح • وهذا ما يقتضي العودة الى تأمل مكانة الحديد وأنواعه •

● عود الى الحديد ومكانته وتفكير البيروني في انزاله :

الحديد مما غيّر وجه المعمورة وأقام دعامة الحضارة الانسانية • ان الأدوات والآلات والسلع المصنوعة تعتمد في كثرتها الكاثرة على الحديد ، حتى ليتمكن القول ان الانسانية ما زالت حتى الوقت الحاضر في عصر الحديد ، مع أن صناعة الحديد الأرضي وتعدينه ومعالجته ابتدأت حول ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد كما تقدم ذكر ذلك ، هذا كله الى امتلاك الانسان في العصر الحالي أشكالاً متنوعة من المعادن ومن أصناف الطاقة •

مصادر الحديد فلزاته والمصنوعات القديمة التالفة قديمة وحديثة • انه كثير الانتشار في الأرض • فهو العنصر الرابع في رتبة الانتشار على القشرة الأرضية • ويقدر أنه يؤلف ٥ في المائة من وزن هذه القشرة • أهم فلزاته الحجر المغناطيسي $Fe_3 O_4$ (الحديد فيه ٧٢ر٤ في المائة) وأكسيد ونصف الحديد $Fe_2 O_3$ أو حجر الدم الأحمر أو الشاذنج أو الشاذنة (الحديد فيه فيه ٦٦٪) وأكسيد ونصف الحديد المائي أو حجر الدم الأسمر $Fe_2 O_3 \cdot H_2O$ (٦٢ر٨ ٪) وفحمات الحديد أوسيديروز (٤٨٪) ثم مركبات السيليكات والسيليكو ألومينات المختلفة •

الحديد قابل للطرق والسحب • رقمه الجوهري في التصنيف الدوري ٢٦ رمزه كما سلف Fe يمكن تطريقه وتجليسه بالحرارة دون اذابته • خواصه مرتبطة بدرجة صفائه • يمكن تبديلها بالحرارة وبإضافة مقدار قليل من الفحم أو بعض العناصر • لكنه معرض للائتكال اذ سرعان ما يتأكسد فيصداً • وهذه الصفة تفسر قلة ما بقي من الآلات المصنوعة منه بالقياس الى ما صنع قديماً من الذهب والفضة والنحاس • له أربعة متماكنات ثابتة كتلتها على التوالي ٥٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، وكثرة المتماكن تنحدر مع هذا الترتيب • وله ستة متماكنات

مشعة مصطنعة كتلها ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ مدات أدوارها متفاوتة .
ومكانة الحديد لا تقوم في صناعة الآلات وأدوات الحضارة الحديثة فقط بل تقوم
قبل ذلك في وظيفته الحيوية ، اذ لا تخلومنه الكائنات الحية نباتاً أو حيواناً أو
انساناً . فهو يدخل في بناء خضاب الدم وفي مادة النبات الخضراء (الكلور وفيل
أو الخضير) ، وهما ما هما في تنفس النبات والحيوان . ويدخل فوق ذلك في
بناء كل خلية بشكل خميرة ضرورية لتنفسها وعملها . وليس هذا موضوعنا .
وانما نريد أن نعرض اتماماً للبحث من حيث نزول الحديد من السماء أو
اخرجه من الأرض ما ورد في التنزيل الكريم : « وأنزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس » (سورة الحديد ٢٥ - ٥٧) .

قال البيروني في « الجماهر » بصدد ذكر الحديد : « ونزول الثقيل غير
مستنكر . لكن قوله جل اسمه لا يرجع اليه . انما معنى نزول الحديد خلقه
واعداه لمصالح البرية في الدفاع والانتفاع . لكن عادة الناس جرت في توقع
الغيث بالغيث والعذاب والزجر من جهة العلو . » وهذا التأويل هو الصحيح
عندنا لأن الحديد الآتي من السماء قليل بالقياس الى حديد الارض .

□ خاتمة :

أصبحت السيوف القلعية وغيرها في ذمة التاريخ العربي . اذا استعملها ضباط
الجيش فللمشارة والزينة . وشتان ما هي وآلات الفتك الجهنمية الحديثة التي تعتمد على
الحديد أيضاً . ونحن وان كنا نكره السيوف والخناجر والسكاكين والمدى المشحودة ونزداد
كرهاً لتلك الآلات الفتاكة الا في سبيل رد الحيف والعدوان والدفاع عن النفس والذود
عن الحمى الا أن السيوف القلعية ما زالت ماثلة في تاريخ الأدب والتراث العربيين .
وما سلف شرحه في بيان معنى السيف القلعي الوارد في بيت النمرى وفي بعض الكتب القديمة
يوضح أن الشعر العربي التالد ليس ديوان العرب فقط بل هو ديوان نصيب كبير من
تراث الانسانية ، ترفده في ذلك خزائن لغتهم الثرية وبحار علومهم الزاهرة .

الحواشي والهوامش :

١ - مقامات الحريري : حاشية على المقامة الشعرية .

٢ - جمع مفتاح بفتح الميم اي خزانة .

٣ - عماد الرصيف الكريم الأستاذ الدكتور شاعر الفحاح في مجلة مجمع اللغة العربية فتناول الكتاب بالثناء والتقدير واستكمل بعض اخبار الشاعر وجاء في شان تحقيق الشعر بملاحظ مفيدة تدل على سعة اطلاع وحسن تات ورحابة باع .
الجزء الرابع ، المجلد السادس والخمسون .

٤ - تحقيق عبد السلام هارون .

٥ - جد الخليفة الهادي في البحث عن سيف عمرو بن معد يكرب حتى وجده فاشتراه بمبلغ طائل . والسوط الخلط والزعاف بالزاي والذال السم السريع . والجفون جمع جفن وهو قراب السيف .
ورواية ابن خلكان ونحن نفضلها لما سيأتي : ثم شابت فيه الزعاف القيون . والقيون جمع قين وهو الحداد .
هذا وقد اورد صاحب زهر الاداب هذا الشعر منسوباً الى ابن يامين البصري في الجزء الثالث . قال : « ولا صار سيف عمرو بن معد يكرب وكان يسمى الصمصامة الى الهادي وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى ان مات المهدي فاشتراه موسى الهادي بمال جليل وكان اوسع بني العباس كفاً واكثرهم عطاء . ودعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدره . فقال : قولوا في هذا السيف . فبدر ابن يامين البصري فقال . حاز صمصامة . . الى آخر الابيات التي عددها تسعة . ورواية الحصري ايضا ثم شابت فيه الذعاف القيون .

ويؤكد صحة الرواية هذه ان لفظ المنون الوارد في رواية الحيوان جاء قافية للبيت الذي قبله في رواية زهر الاداب:

اخضر اللون بين خديه برد من ذعاف يemis فيه المنون

الطبعة الأولى ج ٣ ص ١٩٧ . انظر الوحشيات ٢٨٠ والعقد الفريد ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ وثمار القلوب للشعالبي ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ونهاية الارب ٢١٣/٦ . وذكر مواضع هذه الابيات الالفة وغيرها السيد مطاع الطرابيشي في كتابه « شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدشق .

٦ - شبه السيف بالبرق حين يلعب . وهو كمعي اي ضجيجي انذي يلازمني . كانوا يحتززون فلا يفارقون اسلحتهم . وقد جاء في شعر امرئ القيس :

ايقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال

٧ - اباطي : تحت ابطي جاء في اللسان « قال ابن السرياني : اصله اباطي فخفف ياء النسب وهو منسوب الى ابط . »
٨ - المشرفية نسبة الى مشارف الشام .

٩ - ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ان « القلعة بالفتح والسكون اسم معدن ينسب اليه الرصاص الجيد قيل هو جبل بالشام » ثم يشير ياقوت الى خبر بن مسعر بن مهلهل في رحلته الى الصين ثم رجوعه منها الى كله . « وهي اول بلاد الهند من جهة الصين . . . وفيها قلعة عظيمة فيها معدن الرصاص القلعي لا يكون الا في قلعتها . وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية وهي الهندية العتيقة . » ويذكر الجواليقي في المغرب : « ويقال رصاص قلعي بفتح اللام . والاسكان قليل . وهو فارسي واصله كلهي » وينقل عنه الشهاب في شفاء الخليل .
واكثر الذين كتبوا في السيوف المؤلفين الحديثين يذهبون الى ان القلعية منسوبة الى موضع دون ان يحققوا في ذلك .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : « والقلعة صخرة تنقلع عن جبل منفردة يصعب مرامها . وبه تشبه السحابة العظيمة فيقال قلعة والجمع قلع . قال (عمرو بن احرر) :

تفقا فوقه القلع السواري وجن الخازباز به جنونا

والخازباز فيه سبع لغات (تاج العروس) وله خمسة معان . والمراد هنا ذباب يكون في الروض . والبيت وصف
لكلا أو روض . واللفظ اسمان جملا واحدا وبنيأ على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر .
والبيت أورده البيروني كما يورده كثير من كتب اللغة .

١٠- لعل الأمل به أي تشبه بالرصاص في اللون أو بالشاربقان في الصلابة .

١١- المفضليات ج ٢ سنة ١٣٦٢ هـ . وقد أخطأ ناشر الجواهر إذ نسبته إلى الحصين بن الحمام المري .

١٢- هذا البيت ليس في ديوان العجاج (حاشية الجواهر) .

١٣- البيت يروى لسيف بن ذي يزن (حاشية الجواهر) .

١٤- الردغة الماء والطين وكذلك الوحل الشديد والمردغات محلها .

١٥- المن كيل أو وزن (المراد هنا الوزن) وهو في لغة تميم كالمناء من الناقص في لغة غيرهم . وجمع المن أمانان ومثنى منا
منوان ومنيان والجمع أمانا وأمن ومنني ومني ولكن النسخة المطبوعة أثبتت مناوين وربما كان هذا اللفظ مستعملا في لهجة
تلك البلاد أو كان الأصل من منا إلى منوين فوق التحريف .

١٦- أثبتنا رواية الديوان . وفي زهر الآداب ج ٣ ص ١٩٨ ، فإذا راينا راينا علة .

١٧- Mircea Eliade, Forgerons et Alchimistes, Flammarion .

١٨- انظر المادة في تاج العروس وهو الحجر المدور المحدد وجمعه ظران وظيران وظيرار وظرة . والمظرة الحجر يقدر
به النار .

١٩- انظر في كتابنا تمهيد في علم الاجتماع بحث التحليل النفسي .

٢٠- الأبت . الاحتدام وشدة الحرارة .

٢١- حقق الرسالة ونشرها الدكتور فيصل دبدوب ص ٣٩ . هذا ومن الكتب الجيدة « السيف في العالم الإسلامي » تأليف
الدكتور عبد الرحمن زكي . اكتفى المؤلف فيه مما هو وارد هنا بالإشارة إلى قصة صمصامة عمرو بن معد يكرب
ص ٣٨ - ٣٩ وإلى أن السيف القلعي منسوب إلى « قلعة » بالهند كما ذكرها مسعر بن مهلهل الشاعر في خبر
رحلته إلى الصين ص ٢٣٨ ،

أزيادة الإطلاع على شؤون السيوف يرجع إلى الكتب الآتية ، وإن لم يكن فيها غناء لموضوعنا :

١ - الحياة العسكرية عند العرب ، احسان هندي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٦٤ .

٢ - الفن العربي في صدر الإسلام عبد الرؤوف عون ، دار المعارف ، مصر ١٩٦١ م .

٣ - Manuel d'art musulman, Gaston Migeon, Paris, 1927 . فيه فصل عن الأسلحة عند المسلمين .

٤ - Les armes blanches, Islam, a b c Collection, 1975 . وهو بطبعه الأنيق وصوره الممتازة من أجود المراجع .

★ ★ ★

لغة لعروبة

للشاعر القروي

هي هذه اللغة الخصبة الخلاقة المطواع • لغة أهل
الجنة • اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن • اللغة التي
ملكتم فصحاها ألسنة أفذاذ الأدب العربي ، وألفت بين
قلوبهم في كل قطر سحيق • والتي يتناشد ألعانها بلا بل
الشعر من الخليج العربي الى المغرب الأقصى ، الى كل
مغترّب قذيف ، فتجاوب قلوبهم أصداءها • وتعلو على
كل صوت شعوبي نكير • بها التفاهم وبها الألفة وبها
الوحدة • فيها القوة فالهبة فالسلم فالنعيم المقيم • كل
عادل الى العامية عنها ، مبشر بها دونها ، انما هو كافر
بها وبكم أيها العرب ، دساس عليها وعليكم • كائد لها
ولكم • عامل على قتلها وقتلكم • فعلّموا القرآن
والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم •
لتقوّم بالفصحى ألسنتكم • وتتقوى ملكاتكم ، ويعلو
نفسكم ، وتزخر صدوركم بالحكمة • وتشرق
طروسكم بساحر البيان •

رشيد سليم الخوري
(من مقدمة ديوانه)